

الآيات الشعرية التي استشهد بها قدامة ، وذلك في تفسيره للآيات القرآنية التي يتجاوز التعبير فيها مقاييس الواقع كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِلزُّلُومِ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ وقوله : ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ يقول ابن قتيبة : « وكان بعض أهل اللغة » يأخذ على الشعراء أشياء من هذا الفن ، وينسبها فيه إلى الإفراط وتجاوز المقدار . وما أرى ذلك إلا جائزا حسنا على ما يبيانه من مذاهبيهم . كقول « النابغة » في وصف سيوف :

تَقْدُ السُّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتَوْقَدُ بِالصُّفْحِ نَارَ الْحَبَابِ (٢١٦)  
 ذكر أنها تقطع الدروع التي هذه حالها ، والفارس ، حتى تبلغ الأرض فتورى النار إذا أصابت الحجارة وقول النمر بن تولب في صفة سيف :  
 تظل تحفر عنه إن ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادي يقول : رسب في الأرض بعد أن قطع ما ذكر ، واحتاج أن يحفر عنه ليستخرجه من الأرض ، ومثله قول مهلهل :

وَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ أَهْلَ حَجْرٍ صَلِيلِ الْبَيْضِ تُشْرَعُ بِالذِّكْرِ (٢١٧)  
 وهذان البيتان الأخيران مما استشهد به قدامة ، ويقول إن الشعراء الذين سلكوا هذا المسلك إنما أرادوا المبالغة ، وكل فريق إذا أتى من المبالغة والغلو بما يخرج عن الوجود ، ويدخل في باب المعلوم فلئما يريد به المثل وبلوغ النهاية في النعت ، وهذا أحسن من المذهب الآخر (٢١٨) . بل إنه يقتضى أثر ابن قتيبة في أن معيار كون الكلام من قبيل المبالغة أو الغلو أن يمكن وضع « كاد » أو « يكاد » فيه ؛ وأكثر ما في القرآن من آيات المبالغة - كما يرى ابن قتيبة - يأتي بكاد كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكَادِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ﴾

(٢١٦) السلوق : الدرع المنسوبة إلى « سلوق » قرية باليمن . الصفاح : الحجر العريض نار الحجاب : الشر الذي يسقط من الزناد . والمعنى : أنها نقد الدروع التي ضوعف نسجها ، والفارس ، وحتى تبلغ الأرض فتقدح النار بها من الحجارة .

(٢١٧) تأويل مشكل القرآن ص ١٧٢ - ١٧٣ . وحجر : مدينة بالهامة أو هي قصبة الهامة كما يقول أبو علي القتالي ، وحرهم إنما كانت بالجزيرة . صليل البيض : صوت طنين السيوف عند القتال . الذكور : المراد بها أجود السيف وأيسرها وأشدّها . جعل صليل السيوف يسمع بالهامة لولا الريح ، وقد كانت حرهم بالجزيرة ، وبين الموضعين مسافة طويلة .

(٢١٨) انظر نقد الشعر ص ٥٩ ، ٦٢ - ٦٣ .